

القصص

من الحياة

أهل ووطن للأستاذ كامل محمود حبيب

جمال الحياة التي عاش شرطاً منها بين أهله وذويه ، في وطنه الأول حيث ملاعب الطفولة ومراتع الشباب . وجاءته الذكريات من أقصى الطفولة تحمل على أجنحتها لئلا تذل ولن تذل لتتصب في قلبه هوماً وهوماً ، واضطربت جوارح القتي أن وقف خياله عند الساعة التي أفرغ فيها عن وطنه وأهله فبكى الشكلى تنفقد سيرها حين تنفقد قلبها . ما الذي أزعجك عن وكرك أيها الطير وأنت ناعم على فنن تنرد ، ترى كل مباحج الحياة عند هذا المش الصغير ؟ لقد ضاقت بك الدنيا لأنك تركت قلبك هناك ... هناك في هذا المش ... !

لم يكن القتي كلاً على أحد ، ولم يكن معدماً ، ولم يكن ضعيفاً ولا عاجزاً ، ولكنه هجر وطنه وأهله حين لم يجد فيها جمال الوطن ولا عطف الأهل ، وحين لم يجد بين أهله قلباً كقلب أبيه ينبض له نبضات الحنان والرحمة ، ولا رجلاً في رجولته يفيض عليه من بساط نور الحياة وجمالها . ووقف خيال القتي عند الساعة التي هم فيها يفارق وطنه وأهله تتجاذبه عاطفتان : قلبه من خلف ، وتأبئيه أن يقيم على الضيق من أمام ! ثم غلبته كبرياؤه فانصاع لها تقوده الى حيث يجد أهلاً غير أهله ، ووطناً غير وطنه ؛ أو لا يجد ...

ماذا كان ؟ ماذا كان أيها اللزوي في ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضي ؟

مرض القتي فراح يَطبّ لمرضه في عزم الشباب وقوته ، وأريد على أن يلبث في مستشفى حيناً ، فاطلب أهله في شأنه ، وغاب عنه أن المرض ألم في الجسم وقلق في النفس ، وأن الشفاء يحمل الى المريض على كفين : كف الأسي وكف الطيب معاً لقد خاف - بادى الرأي - أن يفرغ أهله ان ساق اليهم الخبر في صورته المزججة ، فاستأنى حتى ينزع الطيب مشرطه ،

أرض الليل أستاره السود القاعة على دنيا غضبي تزجر في صوت طاصفة هوجاء ، وسما ينهمر منها سيل دافق ، وقد قرّ كل انسان في داره ، ونامت الحياة في كل حي ، والقتي جالس الى موقد في زاوية الحجر ، تنمره لجة من الأفكار المضطربة ، والخواطر المتناقضة ، تتحجبه عن دنيا الناس . لقد رأى نفسه تمصف بها حادثات الأيام فتذرهما بددا ، فان مدّ يده ليجمع أشتاتها لم يجد منها الا صبابة من نفس لا تستطيع أن ترد اليه

يا عربُ هيا فانصروا موطننا
هناك شعبٌ عربيُّ القوي
يسومهُ الخسفُ وأغلالهُ
نارٌ على ظلالِهِ مكرِماً
مجاهداً أقسمَ لا يثنى
شعبُ فلسطينِ يناديكم
تَدَمَّرُ النيرانُ أياتهُ
أحاكمُ يا قوم ! لا تُهلوا
رقوا لِبِلْواهُ وثوروا له
فداهُ تَكْسُونُ أبرادهُ

أحمد الطرابلسي

قترات من فراغ يقضها الى جانب مريضه يواسيه ويعطف عليه
ويحمل اليه - فيما يحمل - هدية صغيرة ، تنتزعه حيناً من
أفكاره الظلمة ...

واستطاع الفتى أن يجلس الى ابن عمه يتحدث : « ما ذا جرى
كأنك لم تقص على أهلى خبرى . لقد مضى أسبوع ولم يزرني
سواك . انك تملأ قلبي سلوة وعزاء بجمال جلساتك القصيرة ،
ولكن ... » وراح الشاب يتلمس لأهله الأعذار : « من ذا
يستطيع أن يقول سأفعل ... لعل حادثاً لم يترام الينا خبره حال
بينهم وبيننا ... واضطربت الكلمات على شفتي الشاب حين أراد
أن يزع عن صاحبه بعض أفكاره ، وحين أراد أن يقول له إنه
أصاب الهدوء والراحة حين عاقهم ما عاقهم عن أن يسرعوا اليه .

اضطربت الكلمات على شفتيه لأنه كان يسمع من أقصى ضميره
صوتاً يقول : « أن لا عذر ... لا عذر اليوم ! » وكان يرى في
إبظائهم استخفافاً وامتهاناً ، غير أن حكته أبت إلا أن تسدل على
عيني الفتى ستاراً من الوهم . وما كان للفتى أن يسمع ، وان سمع
فما كان له أن يصدق ، فهو وحده يشعر بالوحدة حين يخلو الى نفسه ،
وهو وحده يحس ألم الصدمة . لقد أراد أن يفجأهم بخبر هادئ
فانصرفت أيام وما رآهم . وتماثل الليل للشفاء ، وهم يريد داراً
غير هذه ولم يرمهم أحداً . يا ويح هذا الفتى ! لقد راح يطلب
الشفاء من علة في جسمه ، فلأت الأيام قلبه عللاً سلبته لذة الشفاء

وجلس الفتى الى عمه يمانيه : « أفكان من المطف أن أبتد
في حجرة ، وحيداً ، متألماً ، مريضاً ، أقمسى ما أقمسى فلا أجد
منكم من يزورني أو يكتب اليّ ؟ لقد كان أبي منكم بالمكان الذي
تمرفونه ، وكنت من أبي من تمرفون ؛ أفلا ترعون حقه في ابنة
المتق على سريري في حجرة موحشة لا يجد من يواسيه الا ابن عمه
الشاب ؟ » وأحس العم عظم الخطيئة فراح يعتذر : « لقد حجبتنا
عنك موت احدي قريباتك » وانطلق الفتى يقول : « لقد سميت
الى الميت وقد انتهي ، ولبثتم حول قبره أياماً تبكون ، لتركوا
الحى الذى لا هو بالحى ولا هو بالميت يستروح نسيات الحياة منكم
فما يجدها . أفبعد هذا ترعمون ، وترعمون ... ؟ » وسبقت زلة
من لسان العم : « ولكن ... ان لك لهنات ! » فأسقط في يد

ليرسل إليهم خبراً هادئاً فيفقدون على مهل . ونقض جملة حاله
أمام ابن عمه الشاب فلم يرهذا في حديثه إلا صفحة من الاعتداد
بالذات ، والتفاني في الوثوق بالنفس ؛ ثم نظر اليه نظرات ذات
معنى وقال : « أبيضيرك أن تستعينهم على مرضك ووحداك ؟ »
فقال الفتى : « لا ضير ؛ غير أنى أريد أن أجأهم بالخبر » قال الشاب
« أفترانى أملاً فراغ قلبك حيناً من الدهر ؟ » قال : « ولم لا
وقد عرفتك منذ نشأتى تفيض عطفاً وحناناً ، وتسدنى النصيحة
خالصة للحب وللقرابة ، وتبيري طريقتى الحياة بمحبتك فأسير في
سنا ضوه عقلك . لقد كنت لى جماعة فى فرد . والآن ... والآن
أريد أن أعرفك فى مرض . » فصمت الشاب وقد حملته الفتى
العيب وحده ...

وحمل البرق رسالة الشاب « فتاكم فى مستشفى (كذا)
يطب لمرضه وينتظر قدمكم ، لا خوف ... » ثم انطلق الشاب
يحمل الى مريضه خبر الرسالة

هل وعى المريض ما قاله الشاب الباسم ؟ لقد كانت وخزات
الجرح تنفذ الى قلبه فى مثل طمنات الخنجر وهو يصمد لها فى
ثبات وصبر ، وعلى وجهه علامات الضجر ؛ وكان السرور ينضح
من جبينه بارداً غزيراً ليرسم عليه صورة ناطقة لألامه ومتاعبه .
واربد وجه الشاب حين رأى الفتى تتاوره الآلام ، وتتناهيه
الأسقام ، ثم ابتسم فى رقة وهدوء ليداعب صاحبه وينزعه من
آهانه العميقة ، ولكنه كان يجهد نفسه ليرتد اليه جهده
خائباً غزولاً

وفى أنة المحزون انقلب المريض الى ابن عمه الشاب يقول :
« ماذا فعلت ؟ ما ذا فعلت ؟ اننى أريد اخوتى وأعمامى وأهلى ...
آه ما شمرت بالوحدة كالسيوم ... ! » ورن سدى هذا الصوت
الضيف فى قلب الشاب طمنات من يد القدر فراح يقول له ...

ومضى يوم ويومان وثلاثة ... ويد الطبيب تمر رقيقة على
جرح المريض فيلثم صدع منه على صدع ، وتفرج فى قلبه
صدوع وصدوع ، لأنه لم يفز بمد برؤية أحد أقرابه ؛ ولم يستشعر
الحنان الا من قلب هذا الشاب الذى يختلس من أوقات عمله

وتناهته الآلام : آلام المرض ، وآلام الوحشة ، وآلام عزوف أهله عنه ، فأخفى ضعفه النسك من عينيه في منديل

وخرج الفتى من لدن عمه مطوياً على آلام مبرحة تمزق في نفسه ، وتمعض على قلبه حين رأى قلوباً تأكلها أحقادها ، وعقولا تصف بها ترهاتها ، وضائق الدنيا في عينيه حين أنهار مثله الأعلى حجراً حجراً بعد ما رأى من عمه وما سمع ، فهام على وجهه يطلب الفسحة في أرض الله ...

وهبت أول نسمة من سمات الفجر تشهد قلباً كبيراً ينزح عن وطنه ، ويهجر أهله إلى حيث تتقاذفه مطارح النوى ، إلى حيث لا ينبض لذكره قلب ...

وانصرفت سنون ألبست الفتى شيخوخة باكرة ، ورسمت على فؤديه آثار حادثة مروعة استقرت في خياله فأترجم ، لقد سكن إلى وطن وأهل غير وطنه وأهله ، وقلبه ما يزال عند الساعة التي أفزع فيها عن وطنه وأهله بيكي ويكي ...

ليتك نسيت أيها النزوى في ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضي ، ليتك نسيت أنك كنت ...

تمام محمد حبيب

أصدرت مكتبة الويبي

الرجيل

قصة امرأة ينقصها في الحياة الرجل
ورجل يموزه الايمان بالحياة
تلاقيا مع الصبح وافترقا عند الفسق
في البفور الجليل

لمحمود البسدوي

في مكاتب القاهرة وثمنها قرشان
ورسلها المؤلف مع كتابه « رجل » نظير خسة فروش بما فيه البريد
وصنائه ١٠٠ شارع الأمير بشير بالحلمة الجديدة مصر

الفتى أن سمع عمه يتشفي ، وآله أن ينتقم أهله . لقد ذل الفتى مرة وكل فتى يذل ، وما كان لهم أن يماقبوه وهو يحزن إلى بعض عطفهم ، وما كان لهم أن يبينوه في المهاجرة وهو الشوق إلى فيه ظلمهم . أي أهل ؟ وأي إنسانية ؟ واندفع الفتى المغيظ : « هذا وقت تنسى الهنات ، وتنطوي الزلات . إن لي هنات لأنني لم أبلغ سن العقل ، ولكم أخرى لأنكم لم تيدلوا النصيحة . ولقد كفاني أن تبدي لي الأيام ما كان خافياً ، وإن تكشف لي الشدائد عن أشياء كنت أجهلها ، وعن أخلاق ظننتكم ترفقون عنها ... » ثم غمرت الفتى آلامه فأمسك ، وترقرقت في عينيه عبرة حبستها الكبرياء فاستبح ، غير أن أحزانه ثارت في نفسه فقال : « لقد ظننتكم أهلي ، وركنت إليكم لأنكم أهلي ، وشت الخبير فيكم لأنكم أهلي . أما الآن فيا خيبة الرجاء ويا ضيعة الأمل ! »

وزرت في العم سورة من غضب أن رأى الفتى الطائش يلومه فيشتد في اللوم ، ويصاتبه فيسرف في العتاب ، وألم أن يقع بينهما تناهد ، ولكن الفتى كان قد صهرته الفكرة في بوثقة من الأحزان حين رأى عمه يتطلق بأوهى الأسباب بعد إذ عاقبه أهله على غير جريرة ، في جفاء وغلظة ، فرجع إلى نفسه يمدشها ويرسمها على أن تلقى السلم ، فألقت واضطربت الخواطر في رأس الفتى ، فتركته موزعاً ينحى على نفسه باللائمة أن قل ..

ولشد ما آله أن يكون هو ابن أبيه ، ووحيده ، واقتراحه على الله حين أعجزته الأيام عن أن يكون له ولد ، والأمل الباسم في شيخوخة الشيخ وهو يدب على عصاه في طريق الفناء ؛ ثم يرى أهله يبنذونه في مستشفى ، ملق على سرير ، في حجرة موحشة ، لا يأنس إلا بوجه ابن عمه الشاب عصر كل يوم ، ثم هم يفلظون له في الحديث ، ويشتمون في العقاب . ولشد ما أحزنه ألا يكون له في هذا العالم الابن عمه يحنو عليه ، وينظر إليه نظرات فيها المراء وفيها السلوة ، ويدخل إلى نفسه بكلام في رقة الأسيل لينسيه بمض ما هم ؛ وهو كان يرى - عن كذب - الفتى أو الشيخ من أسرته يصيبه بعض ما أصابه هو فينتقل إليه أبناء الأسرة زمراً زمراً يواسونه ، ويمطفون عليه ، وينزهون عنه آلامه وأحزانه . أما هو ... أما هو ...